

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام

(ح76) "كتاب: "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" (ج1)

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الطُّولِ وَالْعَاقِبَةِ، وَالْفَضْلِ وَالْإِكْرَامِ، وَالرُّكْنِ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، خَاتَمِ الرُّسُلِ الْعِظَامِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْكِرَامِ، الَّذِينَ طَبَّقُوا نِظَامَ الْإِسْلَامِ، وَالتَّزَمُوا بِأَحْكَامِهِ أَيْمَانًا نَزَامًا، فَاجْعَلْنَا اللَّهُمَّ مَعَهُمْ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ، وَثَبِّتْنَا إِلَى أَنْ نَلْقَاكَ يَوْمَ نَزَلُ الْأَقْدَامُ يَوْمَ الرَّحَامِ.

أيها المؤمنون:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَبَعْدُ: نَتَابِعُ مَعَكُمْ سِلْسِلَةَ حَلَقَاتِ كِتَابِنَا "بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام" وَمَعَ الْحَلْقَةِ السَّادِسَةِ وَالسَّبْعِينَ، وَعُنْوَانُهَا: "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر". نَتَأَمَّلُ فِيهَا مَا جَاءَ فِي الصَّفْحَتَيْنِ: الرَّابِعَةَ وَالسَّبْعِينَ، وَالْحَامِسَةَ وَالسَّتِينَ مِنْ كِتَابِ "نظام الإسلام" لِلْعَالِمِ وَالْمُفَكِّرِ السِّيَاسِيِّ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبَهَائِيِّ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَمَّا الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَإِنَّهَا تَقُومُ عَلَى أَسَاسٍ هُوَ النِّقِيضُ مِنْ أَسَاسِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَصَوُّرُهَا لِلْحَيَاةِ غَيْرُ تَصَوُّرِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَهَا، وَمَفْهُومُ السَّعَادَةِ فِيهَا يَخْتَلِفُ عَنِ مَفْهُومِهَا فِي الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّ الْاِخْتِلَافِ".

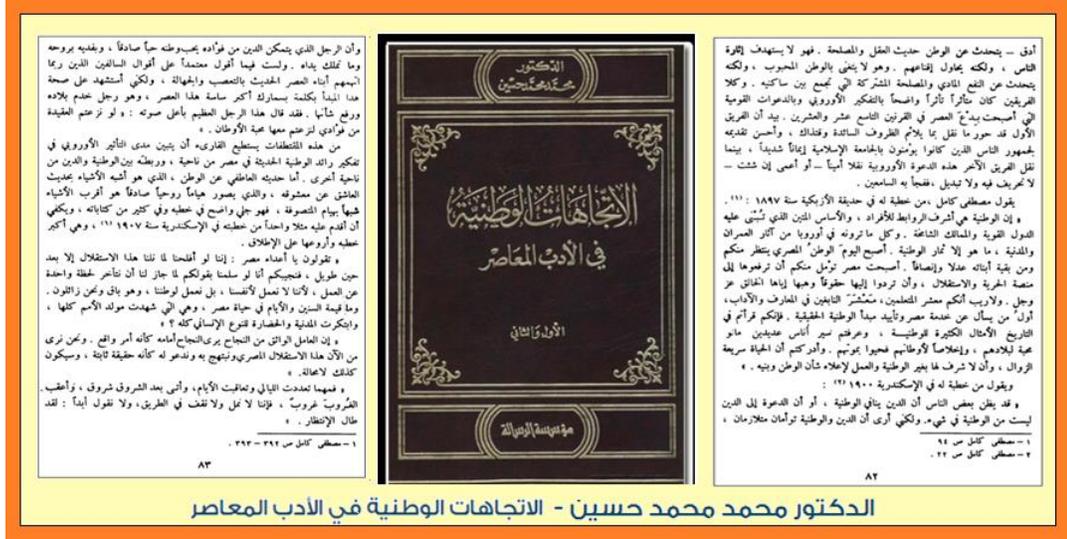
وَنَقُولُ رَاجِعِينَ مِنَ اللَّهِ عَفْوُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوَانُهُ وَجَنَّتُهُ: فِي هَذِهِ الْحَلْقَةِ نَتَابِعُ مَعَكُمْ حَدِيثَنَا الَّذِي كُنَّا قَدْ بَدَأْنَاهُ عَمَّا كَتَبَهُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ حُسَيْنٌ فِي كِتَابِهِ "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" فَهُوَ مِنَ الْمُبْتَأَثَرِينَ بِفِكْرِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبَهَائِيِّ فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْضُوعِ "الْقَوْمِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ".

يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي الصَّفْحَتَيْنِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ، وَالثَّلَاثَةِ وَالرَّمَانِينَ: "... أَوْ بِتَبَعِيٍّ أَدْقٍ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْوَطَنِ حَدِيثَ الْعَقْلِ، فَهُوَ لَا يَسْتَهْدِفُ إِثَارَةَ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُ يُجَاهِدُ إِفْنَاعَهُمْ، وَهُوَ لَا يَتَعَلَّقُ بِالْوَطَنِ الْمَحْبُوبِ، وَلَكِنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ النَّفْعِ الْمَادِّيِّ، وَالْمَصْلَحَةِ الْمَشْتَرَكَةِ الَّتِي بَجَمْعِ بَيْنِ سَاكِنِيهِ، وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ كَانَ مُتَأَثِّرًا تَأَثُّرًا وَاضِحًا بِالتَّفَكِيرِ الْأُورُوبِيِّ، وَبِالدَّعَوَاتِ الْقَوْمِيَّةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ بِدَعِ الْعَصْرِ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ وَالْعِشْرِينَ. بَيَدَ أَنْ الْقَرْنَ الْأَوَّلَ قَدْ حَوَّرَ مَا نَقَلَ بِمَا يُلَايِمُ الظُّرُوفَ السَّائِدَةَ وَقُتْدَاكَ، وَأَحْسَنَ تَقْدِيمَهُ لِحُمُوهِ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِيمَانًا شَدِيدًا، بَيْنَمَا نَقَلَ الْفَرِيقُ الْآخَرُ هَذِهِ الدَّعْوَةَ الْأُورُوبِيَّةَ نَقْلًا أَمِينًا - أَوْ أَعْمَى إِنْ شِئْتَ - لَا تَحْرِيفَ فِيهِ، وَلَا تَبْدِيلَ، فَفَجَأَ بِهِ السَّامِعِينَ. يَقُولُ مُصْطَفَى كَامِلٌ مِنْ حُطْبَةٍ لَهُ فِي حَدِيثَةِ الْأَزْبِكِيَّةِ سَنَةَ 1897م: "... إِنَّ الْوَطَنِيَّةَ مِنْ أَشْرَفِ الرِّوَابِطِ لِلْأَفْرَادِ، وَالْأَسَاسِ الْمَتِينِ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الدُّوَلُ الْقَوِيَّةُ وَالْمَمَالِكُ الشَّامِخَةُ، وَكُلُّ مَا تَرَوْنَهُ فِي أُورُوبَا مِنْ آثَارِ الْعُمَرَانِ وَالْمَدَنِيَّةِ، مَا هُوَ

إِلَّا نَمَارَ الْوَطَنِيَّةِ. أَصْبَحَ الْيَوْمَ الْوَطَنُ الْمِصْرِيُّ يَنْتَظِرُ مِنْكُمْ، وَمِنْ بَقِيَّةِ أَبْنَائِهِ عَدْلًا وَإِنصَافًا. أَصْبَحَتْ مِصْرُ
تُؤَمِّلُ مِنْكُمْ أَنْ تَرْفَعُوهَا إِلَى مَنْصَةِ الْحُرِّيَّةِ وَالْإِسْتِقْلَالِ، وَأَنْ تَرُدُّوا إِلَيْهَا حُقُوقًا وَهَبَهَا إِيَّهَا الْخَالِقُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا
رَيْبَ أَنَّكُمْ مَعَشَرَ الْمُتَعَلِّمِينَ، مَعَشَرَ النَّابِغِينَ فِي الْمَعَارِفِ وَالْآدَابِ أَوَّلَ مَنْ يُسْأَلُ عَنِ خِدْمَةِ مِصْرَ، وَتَأْيِيدِ مَبْدَأِ
الْوَطَنِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، فَإِنَّكُمْ قَرَأْتُمْ فِي التَّارِيخِ الْأَمْثَالَ الْكَثِيرَةَ الْوَطَنِيَّةِ، وَعَرَفْتُمْ سِيرَ أَنْاسِ عَدِيدِينَ مَاثُوا مَحَبَّةً
لِبِلَادِهِمْ، وَإِخْلَاصًا لِوَطَانِهِمْ، فَحَيَّوْا بِمَوْتِهِمْ، وَأَدْرَكْتُمْ أَنَّ الْحَيَاةَ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ، وَأَنْ لَا شَرَفَ لَهَا بِعَبْرِ الْوَطَنِيَّةِ،
وَالْعَمَلِ لِإِعْلَاءِ شَأْنِ الْوَطَنِ وَبِنِيَّةٍ".

وَيُقُولُ مِنْ حُطْبَةٍ لَهُ فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ سَنَةَ 1900م: "... وَقَدْ يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الدِّينَ يُنَافِي
الْوَطَنِيَّةَ، أَوْ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الدِّينِ لَيْسَتْ مِنَ الْوَطَنِيَّةِ فِي شَيْءٍ، وَلَكِنْ أَرَى أَنَّ الدِّينَ وَالْوَطَنِيَّةَ تَوَاقِفَانِ مُتَازِمَانِ،
وَأَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَتَمَكَّنُ الدِّينَ مِنْ فُؤَادِهِ، يُحِبُّ وَطَنَهُ حُبًّا صَادِقًا، وَيَفْدِيهِ بِرُوحِهِ، وَمَا تَمْلِكُ يَدَاهُ، وَلَسْتُ
فِيمَا أَقُولُ مُعْتَمِدًا عَلَى أَقْوَالِ السَّالِفِينَ الَّذِينَ رَمَبَا أَنَّهُمْ أبنَاءُ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ بِالتَّعَصُّبِ وَالْجَهَالَةِ، وَلَكِنِّي
أَسْتَشْهَدُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْمَبْدَأِ بِكَلِمَةِ "بِسْمَارِك" أَكْبَرِ سَاسَةِ هَذَا الْعَصْرِ، وَهُوَ رَجُلٌ حَدَمَ بِلَادَهُ، وَرَفَعَ
شَأْنَهَا، فَقَدْ قَالَ هَذَا الرَّجُلُ الْعَظِيمُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: "لَوْ نَزَعْتُمُ الْعَقِيدَةَ مِنْ فُؤَادِي لَنَزَعْتُمُ مَعَهَا مَحَبَّةَ الْوَطَانِ".

مِنْ هَذِهِ الْمَقْتَطَفَاتِ يَسْتَطِيعُ الْقَارِئُ أَنْ يَتَبَيَّنَ مَدَى التَّأثيرِ الْأُورُوبِيِّ فِي تَفْكِيرِ رَائِدِ الْوَطَنِيَّةِ الْحَدِيثَةِ فِي
مِصْرَ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَرَبِطَهُ بَيْنَ الْوَطَنِيَّةِ وَالدِّينِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى. أَمَّا حَدِيثُهُ الْعَاطِفِيُّ عَنِ الْوَطَنِ الَّذِي هُوَ أَشْبَهُ
الْأَشْيَاءِ بِحَدِيثِ الْعَاشِقِ عَنِ مَعْشُوقِهِ، وَالَّذِي يُصَوِّرُ هَيْئًا رُوحِيًّا صَادِقًا، هُوَ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ شَبَهًا بِهَيْئِ
الْمُتَّصِفِ، فَهُوَ جَلِيٌّ وَاضِحٌ فِي حُطْبِهِ، وَفِي كَثِيرٍ مِنْ كِتَابَاتِهِ، وَيَكْفِي أَنْ أُقَدِّمَ عَلَيْهِ مِثْلًا وَاحِدًا مِنْ حُطْبَتِهِ فِي
الْإِسْكَندَرِيَّةِ سَنَةَ 1907م، وَهِيَ أَكْبَرُ حُطْبِهِ وَأَرْوَعُهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ: "تَقُولُونَ يَا أَعْدَاءَ مِصْرَ: إِنَّنَا لَوْ
أُفْلِحْنَا لَمَا نَلْنَا هَذَا الْإِسْتِقْلَالَ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ طَوِيلٍ، فَنجيئُكُمْ: إِنَّا لَوْ سَلَّمْنَا بِقَوْلِكُمْ لَمَا جَازَ لَنَا أَنْ نَتَأَخَّرَ
لِحِظَّةٍ وَاحِدَةٍ عَنِ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّنا لَا نَعْمَلُ لِأَنْفُسِنَا، بَلْ نَعْمَلُ لِوَطَنِنَا، وَهُوَ بَاقٍ وَنَحْنُ زَائِلُونَ، وَمَا قِيمَةُ السِّنِينَ
وَالْأَيَّامِ فِي حَيَاةِ مِصْرَ، وَهِيَ الَّتِي شَهِدَتْ مَوْلِدَ الْأُمَمِ كُلِّهَا، وَابْتَكَّرَتْ الْمَدِينَةَ وَالْحَضَارَةَ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ كُلِّهِ؟ إِنَّ
الْعَامِلَ الْوَاقِعَ مِنَ النَّجَاحِ يَرَى النَّجَاحَ أَمَامَهُ كَأَنَّهُ أَمْرٌ وَاقِعٌ، وَنَحْنُ نَرَى مِنَ الْآنِ هَذَا الْإِسْتِقْلَالَ الْمِصْرِيِّ،
وَنَبْتَهِّجُ بِهِ، وَنَدْعُو لَهُ كَأَنَّهُ حَقِيقَةٌ ثَابِتَةٌ، وَسَيَكُونُ كَذَلِكَ لَا مَحَالَةَ". فَهَمَّاهُ تَعَدَّدَتِ اللَّيَالِي وَتَعَاقَبَتِ الْأَيَّامُ،
وَأَتَى بَعْدَ الشُّرُوقِ شُرُوقٌ، وَأَعْقَبَ الْعُرُوبَ غُرُوبٌ فَإِنَّنَا لَا نَمَلُّ وَلَا نَعْفُ فِي الطَّرِيقِ، وَلَا نَقُولُ أَبَدًا: لَقَدْ طَالَ
الْإِنْتِظَارُ!!".



أدى ... يتحدث عن الوطن حديث العقل والمصلحة . فهو لا يستهدف إثارة
 الناس ، ولكنه يحاول إقناعهم . وهو لا يفتي بالوطن المحبوب ، ولكنه
 يتحدث عن النفع المادي والمصلحة المشتركة التي تجمع بين ساكنيه . وكلا
 الفريقين كان متأثراً تأثراً واضحاً بالفكر الأوروبي والدعوات القومية
 التي أصبحت يذاع في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين . بيد أن الفريق
 الأول قد حورماً نقل بما يلائم الظروف السائدة وقتذاك ، وأحسن تقديمه
 لجمهور الناس الذين كانوا يؤمنون بالجامعة الإسلامية إيماناً شديداً ، بينما
 نقل الفريق الآخر هذه الدعوة الأوروبية نقلاً أميناً ... أو أسمى إن شئت -
 لا يعرف فيه ولا يتقبل ، فضلاً به السامعين .

يقول مصطفى كامل من خطبة له في حديقة الأزليكية سنة ١٨٩٧ : ١١ .
 إن الوطنية هي أشرف الروابط للأفراد ، والأساس المتين الذي شُيئ عليه
 الدول القوية والممالك الشائعة . وكل ما تروته في أوروبا من آثار العمران
 والمدنية ، ما هو إلا ثمار الوطنية . أصبح اليوم الوطن المصري يتظفر متمكناً
 ومن قبة أبنائه عدداً وإنصافاً . أصبحت مصر تؤمل متمكناً أن ترفعها إلى
 منة الحرية والاستقلال ، وأن تدعو إليها حنوفاً وهدوءاً إيماناً الخالق عز
 وجل . ولا ريب أنكم مشر المصلين ، مستشرقين التاليف في المعارف والآداب ،
 أولاً من سأل عن تنمية مصر وتأييد مبدأ الوطنية الحقيقية . فإنكم قرأتم في
 التاريخ الأكتال الكثيرة الفرطسية ، وحرصتم سبر أكنس حشيين ماو
 عية لبلادهم ، وإحلاماً لأوطانهم فحبوا بيوهم . والذركم أن الحياة سريعة
 الزوال ، وأن لا شرف لها بغير الوطنية والصل لإعلاء شأن الوطن وبنية .

ويقول من خطبة له في الإسكندرية ١٩٠٠ : ١٢ .
 وقد يظن بعض الناس أن الدين ياتي الوطنية ، أو أن الدعوة إلى الدين
 ليست من الوطنية في شيء . ولكني أرى أن الدين والوطنية ترمان متلازمان ،

١ - مصطفى كامل ص ٩٤
 ٢ - مصطفى كامل ص ٩٤

وإن الرجل الذي يتسكن الدين من فؤاده يعبئ طمته حياً صادقاً ، وبلديه بروحه
 وما تمكك يده . ولست فيما أقول مستمداً على الأقوال السالفة الذين ربما
 اتهمهم أبناء العصر الحديث بالنصب والجهالة ، ولكني أستشهد على صحة
 هذا المبدأ بكتابة يساركة أكثر ساسة هذا العصر ، وهو رجل عدم بلاده
 ورفع شأنها . فقد قال هذا الرجل العظيم بأمل صوته : « لو تزعم العقيدة
 من فؤادي لزعتم معها عبدة الأوطان . »

من هذه المنقطعات يستطبع القارئ أن يبين مدى التأثير الأوروبي في
 تفكير رواد الوطنية الحديثة في مصر من ناحية ، وروبطه بين الوطنية والدين من
 ناحية أخرى . أما حديثه المعاني عن الوطن ، الذي هو أشبه الأتياء بتعبير
 الملتحق عن مشوقه ، والذي يصور هيأماً روحياً صادقاً هو أقرب الأتياء
 شعباً بيوام المنصوفة ، فهو جلي واضح في خطبه وفي كثير من كتاباته ، وكبني
 أن أقدم عليه متلاً واحداً من خطبته في الإسكندرية سنة ١٩٠٧ ، وهي أكثر
 خطبه وأروعها على الإطلاق .

« تقولون يا أعمام مصر : إننا لو أقمنا لنا فلنا هذا الاستقلال إلا بعد
 حين طويل ، فتجيبكم أنا لو سلمنا بقولكم ما جاز لنا أن نناخر لحظة واحدة
 عن العمل ، لأننا لا نعمل لأفئتنا ، بل نعمل لوطننا ، وهو باق ونحن زائلون .
 وما قيمة الدين والآيام في حياة مصر ، وهي التي شهدت مولد الأمم كلها ،
 وابتكرت المدنية والحضارة لتفوح الإنسانية كله ؟ »

« إن العامل الواثق من النجاح يرى النجاح أمامه كأنه أمر واقع . ونحن نرى
 من الآن هذا الاستقلال المصري ينتهج به وتدعو له كأنه حقيقة ثابتة ، وسيكون
 كذلك لأهامة . »

« فبهما تعددت البالي وتعاقبت الآيام ، وأتى بعد الشروق شروق ، وأعقب
 الغروب غروب ، فإننا لا نل ولا نقف في الطريق ، ولا نقول أبداً : لقد
 طال الانتظار . »

١ - مصطفى كامل ص ٢٢٤ - ٢٢٤ .

الدكتور محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر

أيها المؤمنون:

نَكْتَفِي بِهَذَا الْقَدْرِ فِي هَذِهِ الْحَلْقَةِ، وَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ، مَوْعِدُنَا مَعَكُمْ فِي الْحَلْقَةِ الْقَادِمَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 تَعَالَى، فَإِلَى ذَلِكَ الْحَيْنِ وَإِلَى أَنْ نَلْقَاكُمْ وَدَائِمًا، نَتَرَكُكُمْ فِي عَنَايَةِ اللَّهِ وَحَفِظِهِ وَأَمْنِهِ، سَائِلِينَ الْمَوْلَى تَبَارَكَ
 وَتَعَالَى أَنْ يُعَزِّزَنَا بِالْإِسْلَامِ، وَأَنْ يُعَزِّزَ الْإِسْلَامَ بِنَا، وَأَنْ يُكْرِمَنَا بِنَصْرِهِ، وَأَنْ يُقَرِّرَ أَعْيُنَنَا بِقِيَامِ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ
 الثَّانِيَةِ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ جُنُودِهَا وَشُهُودِهَا وَشُهَدَائِهَا، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ
 وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. نَشْكُرُكُمْ عَلَى حُسْنِ اسْتِمَاعِكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.